http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1614) السنة السابعة - الأثنين (28) أيلول 2009

الإنتاج الزراعي في كربلاء.. من الفائض الى الهجرة

مثلما تمثل الزراعة العمود الفقري لاقتصاديات اغلب دول العالم ومنها الدول الصناعية فإنها تمثل ابسط مقومات العمل الحكومي من اجل توفير لقمة العيش للمواطنين، فالزراعة مرتبطة بهذا المفهوم لذلك عمدت جميع الدول إلى وضع الخطط للوصول بالزراعة إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي من خلال استخدام الطرق العلمية ومسايرة التقنية التي توصل إليها العالم والتي تتدخل في زيادة الإنتاجية ومكافحة الآفات وطرق الري وتسميد الأرض وهذه طرق مستخدمة..إلا إن الحال في العراق وبدلا من زيادة الرقعة الجغرافية وإيجاد بدائل لشحة الماء نجد إن الأرض تتحول إلى بور والملوحة تزداد حتى في مصادر المياه ومصبها بل وما زال الفلاح يستخدم المنجل والمحراث اليدوي في عملية الزراعة هربا من أسعار الحراثة الآلية وكأننا ما زلنا نعيش في زمن الحصار الذي تعلق عليه كل أخطاء السياسة.

كربلاء تعد واحدة من المناطق الزراعية في العراق والتي فيها عدة آلاف من الدونمات الزراعية التي تنتج العديد من المحاصيل الزراعية المختلفة والتي تعاني الآن أرضها الزراعية من الإهمال والملوحة وقلة الماء.

المدى

كربلاء

مقارنة في الإنتاجية

المزارع علي نعمة رباط لديه ارض زراعية تبلغ مساحتها ٢٢ دونما حتى منتصف السبعينيات تحتوي على أكثر من ٣٠٠٠ شجرة نخيل بالإضافة إلى حوالي ٨ دونمات من أشجار الحمضيات وأشجار فاكهة أخرى، أما في الوقت الحاضر فاني لا أملك أي شجرة حمضيات أو فاكهة وليس في مزرعتي سوى بضع مئات من أشجار النخيل كما ترى.. في سنة ١٩٧٠ كنت أبيع عشرات الأطنان من التمور سنويا، أما حالياً وبسبب هلاك معظم الأشجار ناهيك عن ضعف إنتاجية الشجرة بالمقارنة مع إنتاجيتها قبل ٤٠ عاما فان الإنتاجية انخفضت في الأعوام الأخيرة إلى ثمن إنتاجية أشجار البرتقال والحمضيات، والى سنة ١٩٧٥ كانت تدر سنويا عدة أطنان وتحقق لي أرباحاً كبيرة أما حاليا فلم يبق من هذه الزراعة شيء.. ويوضح إن أسباب الهلاك تعود إلى ارتفاع المياه الجوفية من باطن التربة وتبخرها تاركة خلفها نسبة مرتفعة من الأملاح التي تضر بالمغروسات والمزروعات.

مزارع آخر صب جام غضبه على ارتفاع تكاليف الزراعة من تهيئة الأرض وارتفاع أسعار المبيدات والدعم القليل للأسمدة والمبيدات هو أيضاً يقف وراء تراجع الإنتاج الزراعي.. ويضيف المزارع سالم جسار بأنه يمتلك أرضاً زراعية بمساحة ٥٠ دونما كان يزرعها بمحصول الطماطم وتدر عليه أرباحا كبيرة نتيجة لتوفر الدعم الكافي وقلة أسعار تهيئة الأرض وكذلك أسعار المبيدات والأسمدة الكيمياوية في الأسواق المحلية تقابلها غزارة الإنتاجية للدونم الواحد، أما حالياً فإن ارتفاع تكاليف الحراثة وأسعار المبيدات والأسمدة الكيمياوية في الأسواق المحلية جعلتني لا أتمكن من زراعة سوى ٨ دونمات.. ويشير إلى إن أرضه لا يزرعها الآن كاملة لان زراعة الطماطم تتطلب أساليب عناية خاصة وتكاليف كبيرة جدا مثل الأسمدة الكيمياوية طيلة موسم المحصول وكذلك مكافحة المحصول كل ٣ أيام بالمبيدات الزراعية فعلى سبيل المثال ثمانية دونمات كلفتني زراعتها بهذا المحصول نحو مليوني دينار تكاليف أسمدة ونحو ٢٥٠ ألف دينار مبيدات طيلة الموسم الزراعي وكافة احتياجاتي الزراعية هذه أقوم بشرائها من الأسواق المحلية بأسعار مرتفعة ناهيك عن التكاليف الأخرى مثل الحراثة وغيرها وهذا يجعل زراعة ٥٠ دونما بكاملها أمرا مستحيلا لاسيما واني من أصحاب الدخول الضعيفة.

في الطريق الى هجرها

انتاجية منخفضة

لم يكن نصيب المحاصيل الزراعية الأخرى كالخضر بأنواعها أوفر حظا من سابقتها حيث يقول المزارع حميد عبد زيد محمد إن هناك مشاكل أخرى تواجه المزروعات فانا أمارس زراعة المحاصيل الحقلية منذ أكثر من ١٠ أعوام وبسبب ارتفاع تكاليف الأسمدة الكيمياوية مثل (اليوريا) اضطررنا إلى استخدام السماد الحيواني الذي يتفاعل مع المركبات داخل التربة بعد السقي مسببا إصابة جذور المزروعات بالكثير من الأمراض كالفطريات وغيرها لاسيما واني من أصحاب محصول (الباذنجان).

ويرى إن علاج هذه المشكلة يكمن في دعم السماد الكيمياوي واستخدام طريقة الري بالتنقيط لهذه المحاصيل.

الحراثة وارتفاع الأسعار

يضيف لنا المزارع حسن فرحان الذي يزرع محصول الحنطة على مساحة ١٤ دونما، بان محصوله يكثر قربه نبات القصب والحشائش التي تزاحم المحصول في امتصاص المواد الغذائية من التربة فتتركه ضعيفا مما يؤدي إلى تقليل الإنتاجية وعن أسباب عدم مكافحة هذه الحشائش وأسباب ظهورها يقول إن ارتفاع نسبة الملوحة في التربة والحراثة غير الجيدة هي من أسباب ظهور نبات القصب وللتخلص من هذه المشكلة يلزمنا لكل دونم علبة مبيد بسعر (٣٠ – ٤٠) ألف دينار وهذا ما يرهق الفلاح ويحمله فوق طاقته.

وعن تكاليف تهيئة الأرض قال: في قرية (شط ملا) تبلغ أسعار الحراثة ١٥ ألف دينار للدونم الواحد أما في مناطق أخرى فتبلغ ٢٥ ألف دينار للدونم الواحد إضافة إلى بقية المصاريف الزراعية الأخرى والتي تجعل تحقيق فائدة للمزارع من الأرض أمراً غير مجد.

احد أصحاب الساحبات الزراعية التي تقوم بحراثة الأرض يقول: إن الأسعار ليست موحدة فهي ما بين ١٥ ألفا إلى ٢٥ ألف دينار والحد الأدنى هو الذي أتقاضاه أنا علماً ان كلفة الدونم الواحد تتراوح من (٥ – ٧) آلاف دينار كوقود ناهيك عن أسعار الزيوت والمواد الاحتياطية المرتفعة فإصلاح أدنى الأعطال في الماكنة الزراعية يكلف ٢٥٠ ألف دينار وقد يصل إلى مليون و ربع كما في إبدال المحرك فضلا عن أسعار الماكنات.

وأضاف: إن ارتفاع تكاليف الحراثة وتهيئة الأرض دفع المزارعين إلى حراثة الأرض مرة واحدة قبل الزراعة (سجه واحدة) بدلا من حراثتها مرتين أو ثلاث وهذا ما يولد اثرا سلبيا على عملية الإنبات مؤكداً إن عشرات المزارعين ونتيجة لارتفاع التكاليف الزراعية وعدم وجود دعم حقيقي قد هجروا زراعة أراضيهم.

وجهة نظر رسمية

رئيس لجنة الزراعة في مجلس إدارة الناحية احمد كامل الكريطي يؤكد انه وإن وجد الدعم فهو قليل جدا ودون مستوى الطموح وبشكل لا يوازي حجم التطور الذي حظيت به جميع قطاعات الحياة في الناحية، مشيرا إلى ضرورة حماية المنتجات المحلية.

وبشأن إمكانية دعم أسعار الوقود بالنسبة لأصحاب الماكنات الزراعية وبالتالي تخفيض تكاليف تهيئة الأرض فقد أكد إن اللجنة الزراعية في المجلس قامت في وقت سابق بمحاولات لفتح شعبة المكننة الزراعية في الناحية كخطوة أولى من قبل المجلس لتخفيف حجم المعاناة عن المزارعين إلا إن هذا المشروع صادفته بعض المعوقات التي حالت دون ظهوره للنور منها إن بعض المسؤولين يشيرون إلى أنهم لا يدعمون المداخلات الزراعية، بل المخرجات أي انهم لا يدعمون الفلاح في المستلزمات الزراعية وتكاليفها الباهظة ولكنهم يدعمونه في استلام المحاصيل المنتجة، وهذا ما أدى إلى إغراق السوق العراقية بالسلع الزراعية الأجنبية المدعومة في بلدانها.

الارض المزروعة

ليمونة الرافدين تستعيد عافيتها ومساءات بعقوبة تحفل بالطمأنينة والأمل

لبعقوبة متعة القصيدة ودهشتها..
هكذا أجابني علي الناصري الشاعر الشفاف ابن الناصرية عام ١٩٧٩ عندما سألته عن سر تعلقه ببعقوبة إذ كان يقضي فيها جلّ أيام إجازته التي كان يحصل عليها من وحدته العسكرية حيث كان متطوعا في صفوف الجيش العراقي قبل أن يحمل حقيبته ويهرب إلى دولة الكويت ومن هناك إلى حيث لا ادري إذ كان مطلب الحرية لذلك الشيوعي الشاب أهم من كل أحلامه فسلاما أيها الناصري حيا كنت أم ميتا يا ابن بعقوبة روحا وقصيدة..
وحقا لك بعقوبة.. يا ليمونة الرافدين وضحكتهما باذخة الجمال كل الحب وأنت تنهضين من جديد بذلك البريق الأخاذ وتنشرين أخضرك الشفاف على المكان والزمن.

عمر الدليمي

بعقوبة

بعقوبة.. لمحة تاريخية

تشير المصادر التاريخية إلى إن تسمية بعقوبة قد وردت في معجم البلدان لياقوت الحموي في القرن الثالث عشر للميلاد باسم (بعقوبا و باعقوبا) - وقال في وصفها (قرية كبيرة كالمدينة، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ، من أعمال طريق خراسان، وهي كثيرة الأنهار والبساتين، واسعة الفواكه، متكاثفة النخل، وبها رطب وليمون، يضرب بحسنها وجودتها المثل، وهي راكبة على نهر ديالى من جانبه الغربي، ونهر جلولاء يجري في وسطها، وعلى جنبي النهر سوقان، وعليه قنطرة، تصل ما بين السوقين والسفن تجري تحت القنطرة إلى باجسرا وغيرها من القرى، وبها عدة حمامات ومساجد..) و«باعقوبا» سبقت الإسلام، كما جاء في الأسفار السريانية، و ذكرها الرحالون العرب والأجانب في كتبهم في القرون الوسطى والفترات اللاحقة واسمها الحالي متأت من اللغة الآرامية التي كانت سائدة قبل وبعيد الإسلام باسم «باعقوبا» -المختصرة لـ« بيت عاقوبا « ومعناه موضع (الفاحص) أو (المعقب) أو (الحبس) بسبب موقعها على طريق القوافل إلى إيران - وفي الجوانب التاريخية أيضا يشير الباحث طه هاشم الدليمي إلى أن بعقوبة كانت تسمى باسم طريق خراسان بسبب وقوعها على الطريق المؤدي إلى إيران، ثم خففت هذه التسمية وصارت تسمى خراسان ومن ثم حرف الاسم المذكور ليصبح خريسان وهو الاسم الذي حمله فيما بعد نهر جلولاء الذي ينحدر من ناظم الصدور الحالي متعرجا ما بين القرى والبساتين حتى يصل إلى مناطق جنوب بهرز ليتلاشى هناك.

بعقوبيون بناؤون

محافظ ديالى الدكتور عبد الناصر المهداوي ما فتئ يتحدث بحماس عن طموحاته للنهوض بالواقع الخدمي للمحافظة عموما ولمدينة بعقوبة تحديدا ويلمس البعقوبيون جدية الرجل في تنفيذ أفكاره ونجد انه في متابعة دائمة للدوائر الخدمية في المحافظة، ومع ذلك فالتركة ثقيلة خاصة وان الكثير من البنى التحتية قد دمرت بفعل الإرهاب والعمليات العسكرية التي شهدتها أحياء بعقوبة من زقاق لزقاق.

الفسحة الأمنية الطيبة التي تشهدها المحافظة عموما ومدينة بعقوبة خاصة جاءت بعد جهد مكثف وكبير للقوات العراقية من الجيش والشرطة ويتواصل هذا الجهد على مدار الساعة لتعزيز ما تحقق من مكسب كبير هو الأمن الذي له انعكاساته على مجمل الحياة العامة.

ضابط العلاقات والإعلام في مديرية شرطة محافظة ديالى الرائد غالب عطية خلف تحدث للمدى قائلاً:

– لدينا دوريات مستمرة نهارا وليلا بهدف حماية المواطنين من التفجيرات العشوائية التي باتت تستهدفهم بشكل عام بعدهم هدفا سهلا حيث لم يستطيعوا مواجهة القوات الأمنية، ولكننا نتواجد في كل الأمكنة خاصة التجمعات والأسواق والمتنزهات التي تستقبل المواطنين في المساءات إذ عاد ليل بعقوبة لتلك الحميمية التي تميزه، ومن جانبنا كمعنيين بتوفير الأمن فأننا نستخدم الأجهزة المتطورة والكلاب البوليسية للكشف عن المتفجرات فضلا عن الدوريات والتواجد الميداني.

قلنا لقائممقام مدينة بعقوبة عبد الله الحيالي، إن ليل بعقوبة صار يشيع البهجة في النفوس لكن ما يخدش مشهد الجمال هو قلة الاهتمام بنظافة الأمكنة حيث تواجهنا أكوام النفايات أينما حللنا فعلل الأمر بقلة التخصيصات ولكننا لا نوافقه الرأي ونقول إن سبب هذا الخلل هو غياب الرؤية العلمية والعملية لاستثمار الموارد.

شعربين ليل وورد

أمسية رمضانية حالمة تلك التي نظمتها مؤسسة النور الجامعة وهي من منظمات المجتمع المدني بالتعاون مع رابطة الإعلاميين الموحدة واتحاد الأدباء في ديالى، إذ كان جليا ذلك التعطش الآخذ بتلابيب نفوس من حضر تلك الأمسية التي شارك فيها أدباء ومثقفو وشعراء المحافظة وجامعيون وممثلو منظمات المجتمع المدني.

عامر لطيف آل يحيى مدير مكتب ديالى لمفوضية الانتخابات تحدث للمدى قائلاً:

– ما يبهجني في هذه الأمسية إنها قد أعادت لنا ليل بعقوبة ومناسيبها الرائعة حيث كان اتحاد أدباء ديالى متنفسا ومشغلا فكريا يلمّ بين جنبيه كل مثقفي المحافظة ولا ادري أي وصف أقوله وما يعتمل في نفسي من مشاعر الشكر والعرفان لمؤسسة النور الجامعة التي بادرت بإقامة هذه الأمسية واستجاب لها الأخوة في اتحاد الأدباء والإعلاميون وما يزيد من شعور الغبطة والطمأنينة هو هذا الحضور النسوي الذي يدل على عودة الروح للحياة في مدينتنا.

ومثل هذا الرأي عبر عنه الحاضرون الذين حلقت بهم قصائد الشعراء مع نسمات المساء البعقوبي في حدائق المسبح وكان الفن التشكيلي والقصة والرأي في الشأن العام محاور تداولها الحاضرون من خلال مشاركات المدعوين للأمسية الذين فاق عددهم السبعين شخصاً.

نشيد الطبيعة

بعد أيام عسيرة وجفاف مخيف عاد الماء لخريسان، جدول النور الذي يضيء حياة الناس ويغازل الصباحات، هذا الجدول يمثل أو يكاد الرئة الوحيدة للمدينة الصغيرة، فشاطئاه الودودان هما الملاذ الذي يلجأ إليه أهل بعقوبة بعدما غابت المرافق الترفيهية إلا القليل الذي لا يلبي الحاجة.

على طول المسافة التي يحبو بها خريسان في كنف أمه بعقوبة وهي الممتدة من قنطرة خليل باشا لغاية تقاطع البلدة تتوزع مقاه أجمل ما فيها هو زحام روادها في هذه الأيام وتواصل حركة الناس لما بعد منتصف الليل وهو ما لم تعتاده المدينة منذ خمسة أعوام.

رواد هذه المقاهي من شرائح مختلفة وغالبا ما تشاهد أدباء وإعلاميي بعقوبة وأساتذة جامعة ديالى يمضون ساعات المساء فيها وعند مشاهدة هذه المشاهد ستتأكد إن بعقوبة ودودة بما يكفي لكي تكون الحياة جميلة.

ربما تظن انه موكب زفاف وتستغرب متسائلاً.. (انه وقت متأخر يا جماعة!)، لكنك ستكتشف إنهم ثلة من شباب مرحين يجوبون مساء المدينة بدفوفهم وطبولهم وموسيقاهم الضاجة ليضفوا على الوقت مزيدا من الالق والعذوبة.

لقد ولى ذلك الزمن الذي حاول فيه الظلام أن يطفئ نور الحياة، وكم هو مفرح أن ترى التزاور بين شباب قصبات وأحياء بعقوبة في نهاراتها ومساءاتها، فبعد أن حاول الوحوش تقطيع أوصال المدينة باختلاقهم الطائفية ومر وقت صار به من غير الممكن أن يذهب البهرزي إلى قرية الهويدر أو الخرنابتلي إلى محلة جبينات، وليس حتى من الأحلام أن يعود لأسرته إن تجاسر وذهب، عادت مساءات بعقوبة لتحتفل بلاعبي المحيبس حيث جرت العادة أن يتزاور شباب بهرز والهويدر وخرنابات وجبينات وحي الأمين وشفته وغيرها من أحياء بعقوبة، وقد يظن احد ما إنني أبالغ، ولكن أقول إن بهرز قد ضيفت قبل أيام شباب الهويدر ولعبوا المحيبس حتى ساعة متأخرة من الليل ووصل عدد الضيوف والمضيفين لما يفوق ألف شخص.

نعم.. في الصباح التالي اغتسلت الفواخت بضحكات شباب بعقوبة التي خبأها خريسان ما بين ضفتيه.

خريسان الذي يمر بالهويدر قبل أن يصل بعقوبة ومن ثم بهرز لا يحتاج لوسطاء مصالحة بين أهل مدينته فهو تاريخ تواصل لا يمكن لكل ضباع الصحارى أن تصل بالعطش إلى ضفتيه.

لمساءات بعقوبة حاجات مؤجلة

مدينة بعقوبة بحاجة ماسة للمرافق السياحية، فهذه المدينة ذات الطبيعة الجميلة التي يمكن أن تشكل منطقة سياحية مهمة قد أهملت منذ عقود وعقود.

فشاطئ نهر ديالى قد انطفأ منذ عام ٢٠٠٤ إذ بدأ شيطان الإرهاب أول خطاه على طريق الدم الذي أراد له أن يصل بالعراق إلى الدمار والموت، لكنه خاب لان العراق شمس الدنيا التي لا تنطفئ.

مدينة الألعاب الحكومية بعد أن كانت مصدر إمتاع للأطفال ومتنفساً لأسرهم وغالبا ما كانت تستقبل مخيمات الشباب الكشفية واحتفالاتهم، وبعد عقود من الإهمال وما مر من ظروف صارت قاعا صفصفا، وليس في الأفق من برامج للحكومة في هذا المجال، ويكفي أن ندل على غرابة الأمر بالقول إن محافظة تعداد سكانها يقارب المليون وخمسمائة إلف نسمة لا يوجد فيها فندق سياحي واحد بغض النظر عن درجة تصنيفه.

بلدية بعقوبة كانت قد افتتحت متنزها في المساحة الخالية ما بين الجسر الحديدي وجسر الجمهورية لكنها ما لبثت أن أغلقته بداعي الصيانة بعد اقل من أسبوع على الافتتاح!!